443989 - حديث (كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ) هل هو صحيح، وما معناه؟

السؤال

عندي استفسار عن حديث أبي رزين: " قُلتُ: يا رسولَ اللهِ، أين كان رَبُّنا عزَّ وجلَّ قَبلَ أنْ يَخلُقَ خَلقَهُ؟ قال: (كان في عَماءٍ ما تَحتَهُ هَواءٌ، وما فَوقَهُ هَواءٌ، ثم خلَقَ عَرشَهُ على الماءِ).
قرأت لأحد طلاب العلم تصحيحه للحديث، واستدل بأن الحديث رواه ابن ماجة في باب ما أنكرت الجهمية، قاصدا أن ابن ماجة رحمه الله لا يقول: إن الحديث منكر، وأن الحديث ثابت عند أهل السنة والطاعنين في صحته يوافقون الجهمية، ونقل كلاما لبعض السلف في معني عماء، وهذا يدل علي تقبلهم للحديث.
السؤال هل الحديث صحيح؟ وكيف نجمع بين ما جاء في الحديث: (ما فوقه هواء)، وبين أن الله تعالى لا شيء فوقه فهو الظاهر؟

الإجابة المفصلة

أولا:

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في "المسند" (26/108)، و"الترمذي" (3109)، وابن ماجه (182)، وابن حبان كما في "الإحسان" (14/8)، وغيرهم:

عن حَمَّاد بْن سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟

قَالَ: (كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ).

وحسّنه الترمذي، وكذا حسّن إسناده الذهبي في "العلو" (ص18)، وهو حديث مشهور عند الأئمة، يذكرونه في أبواب العقائد.

ومن أهل العلم من نص على ضعفه؛ لأن في إسناده وكيع بن حُدُس، فقالوا: هو مجهول.

كما قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى:

" ووكيع بن حدس الذي روى عنه حديث حماد بن سلمة أيضا لا يعرف " انتهى. "تأويل مختلف الحديث" (ص323).

فلم ينص على توثيقه من الأئمة المتقدمين إلا ابن حبان، حيث قال رحمه الله تعالى:

" وكيع بن عدس بن عامر، ابن أخى أبى رزين العقيلي لقيط بن عامر، ويقال حدس، من الأثبات، كنيته أبو مصعب، فأما شعبة وهشيم فقالا: عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس، وقال حماد بن سلمة وأبو عوانة: عن يعلى عن وكيع بن حدس . والصواب بالحاء . والله أعلم " انتهى. "مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار" (ص 152).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله تعالى:

" إسناده ضعيف، وكيع بن حدس ويقال عدس: وهو مجهول لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء ولا وثقه غير ابن حبان " انتهى. "ظلال الجنة" (ص 272).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى:

" والحديث في سنده بعض المقال...

وهذا الحديث مشهورٌ من حديث أبي رزين العقيلي من رواية وكيع بن حدس، وهذا الرجل -وكيع- ليس من المشهورين بالثقة " انتهى من "فتاوى نور على الدرب".

ثانيا:

على قول من صححه، فمعناه:

(العماء): المشهور أنه السحاب، وهذا كقوله تعالى:

(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) البقرة/210.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

" قوله تعالى: (فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ)؛ (فِي) معناها "مع"؛ يعني يأتي مصاحباً لهذه الظلل؛ وإنما أخرجناها عن الأصل الذي هو الظرفية؛ لأنا لو أخذناها على أنها للظرفية صارت هذه الظلل محيطة بالله عزّ وجلّ؛ والله أعظم وأجلّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته؛ ونظير ذلك أن نقول: جاء فلان في الجماعة الفلانية أي معهم -؛ وإن كان هذا التنظير ليس من كل وجه؛ لأن فلاناً يمكن أن تحيط به الجماعة؛ ولكن الله لا يمكن أن يحيط به الظلل؛ وهذا الغمام يأتي مقدمة بين يدي مجيء الله عزّ وجلّ، كما قال تعالى: (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ) ... " انتهى من "تفسير سورة البقرة" (3/12).

قال الأزهري رحمه الله تعالى:

" وفي حديث أبي رزين العقيلي أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟

قال: (في عماء، تحته هواء وفوقه هواء).

قال أبو عبيد: العماء في كلام العرب: السحاب، قاله الأصمعي وغيره وهو ممدود...

قال أبو عبيد: وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف كان ذاك العماء.

قال: وأما العمى في البصر: فمقصور، وليس هو من هذا الحديث في شيء.

قلت: وقد بلغني عن أبي الهيثم، ولم يعزه لي إليه ثقة، أنه قال في تفسير هذا الحديث، ولفظه: إنه كان في عمىً مقصور.

قال : وكل أمر لا تدركه القلوب بالعقول فهو عمى.

قال: والمعنى: أنه كان حيث لا يدركه عقول بني آدم، ولا يبلغ كنهَه وصفٌ.

قلت أنا: والقول عندي ما قاله أبو عبيد: أنه العماء ، ممدود، وهو السحاب ، ولا يُدرى كيف ذلك العماء بصفة تحصره ولا نعت يحده.

ويقوي هذا القول قول الله جل وعز: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ)، فالغمام معروف في كلام العرب، إلا أنا لا ندري كيف الغمام الذي يأتي الله جل وعز يوم القيامة في ظلل منه؛ فنحن نؤمن به، ولا نكيف صفته.

وكذلك سائر صفات الله جل وعز " انتهى من "تهذيب اللغة" (3 / 246).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" ... حديث أبي رزين العقيلي المشهور في كتب المسانيد والسنن أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال: (كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ) فالخلق المذكور في هذا الحديث لم يدخل فيه العماء ، وذكر بعضهم أن هذا هو السحاب المذكور في قوله: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ)، وفي ذلك آثار معروفة " انتهى من "مجموع الفتاوى" (2/ 275).

وجملة: (مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ).

الضمير"الهاء" يعود على (العماء) وهو السحاب على قاعدة : "عود الضمير إلى أقرب مذكور" .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى:

" قال غيره في هذا الحديث: (كان في عماء، فوقه هواء، وتحته هواء). والهاء في قوله: "فوقه"، و"تحته": راجعة إلى العماء " انتهى من "التمهيد" (5 / 149).

وعلى ذلك، يكون المعنى: العماء الذي فوقه هواء وتحته هواء.

وقيل:(العَمَاءُ): المراد به أنه لم يكن معه شيء.

كما قال الترمذي عقب روايته للحديث: " قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ،: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: " العَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ " انتهى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

" فعلى ما ذكره يزيد بن هارون، ورواه عنه أحمد بن منيع، وقرره الترمذي، في أن معناه: ليس معه شيء، فيكون فيه دلالة على أن الله تعالى كان وليس معه شيء " انتهى. "بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية" (1/ 463 — 464).

وهذا يكون معناه كما في رواية البخاري (3191) لحديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: " دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: (اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ) قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ: (اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ) قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ قَالَ: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...).

وعلى هذا تكون (مَا) نافية في قوله: (مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ)، أي هي تأكيد على نفي الأشياء.

قال البيهقي رحمه الله تعالى:

" وقد قيل: إن ذلك من "العما" مقصورا، والعما إذا كان مقصورا، فمعناه: لا شيء ثابت، لأنه مما يعمى على الخلق، لكونه غير شيء.

وكأنه قال في جوابه: كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره. كما قال في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، ثم قال (فما فوقه ولا تحته هواء). أي: ليس فوق العمى الذي لا شيء موجود هواء، ولا تحته هواء، لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه، والله أعلم " انتهى من "الأسماء والصفات" (2/236).

والله أعلم.